(سورة النبأ)

{ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ } { عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ }

{ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ } * { كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ }

{ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ } { أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلأَرْضَ مِهَٰداً }

{ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَاداً } { وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً }

{ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً }

{ وَجَعَلْنَا ٱلَّيلَ لِبَاساً } { وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشاً }

{ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً }

{ وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً }

{ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجاً }

{ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً } { وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً }

{ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً }

{ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً }

{ عمّ يتساءلون * عن النبأ العظيم } النبأ العظيم هو القيامة الكبرى، ولذلك قيل في أمير المؤمنين علي عليه السلام: هو النبأ العظيم وفلك نوح أي: الجمع والتفصيل باعتبار الحقيقة والشريعة لكونه جامعاً لهما.

{ إنّ يوم الفصل } أي: يوم يفصل بين الناس ويفرق السعداء من الأشقياء وبين كل طائفة من الفريقين باعتبار تفاوت الهيئات والصور والأخلاق والأعمال وتناسبها { كان } عند الله وفي علمه وحكمه { ميقاتاً } حدّاً معيناً ووقتاً موقتاً ينتهي الخلق إليه.

{ يوم يُنفخ في الصور } باتصال الأرواح بالأجساد ورجوعها بها إلى الحياة { فتأتون أفواجاً } فرقاً مختلفة كل فرقة مع إمامهم على حسب تباين عقائدهم وأعمالهم وتوافقها.

« وعـن معـاذ رضي اللـه عنـه أنـه سـأل عنـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال:

« يا معاذ! سألت عن أمر عظيم من الأمور «

ثم أرسل عينيه وقال:

« يحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عمياً وبعضهم صمّاً بكماً وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطّعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلّبون على جذوع من نار، وبعضهم أشدّ نتناً من الجيف، وبعضهم ملبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم.

فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، وأما المنكسون على وجههم فأكلة الربا، وأما العمي فالذين يجورون في الحكم، وأما الصمّ والبكم فالمعجبون بأعمالهم، وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصّاص الذين خالف قولهم أعمالهم، وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران، وأما المصلّبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، وأما الذين هم أشدّ نتناً من الجيف فالذين يتعبون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم، وأما الذين يلبسوا الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء « ،

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

{ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً } { وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً }

{ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً } { لِّلطَّاغِينَ مَآباً } { لاَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَاباً }

{ لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً }

{ إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً } { جَزَآءً وِفَاقاً }

{ إِنَّهُمْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً } { وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا كِذَّاباً }

{ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً }

{ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً }

{ وفتحت } سماء الروح عند العود إلى البدن بأبواب الحواس الظاهرة والباطنة { فكانت أبواباً } أي: ذات أبواب كثيرة هي طرق الشعور كأنه كلها أبوابها لكثرتها. { وسيرت } جبال الحجب الساترة لهيئاتهم وصفاتهم عن الأعين الحاجزة عن ظهورها من الأبدان والأعضاء العارضة دون تلك الهيئات التي ظهرت في المحشر { فكانت سراباً } كقوله تعالى:

{ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنبَثّاً }

[الواقعة، الآية:٦] أي: صارت شيئاً كلا شيء في انبثاثها وتفرّق أجزائها.

{ إنّ جهنم } الطبيعة { كانت مرصاداً } حدّاً يرصد فيه كل أحد، يرصدهم عندها الملائكة، أما السعداء فلمجاوزتهم وممرّهم عليها لقوله تعالى:

{ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ }

[مريم، الآيات:٧١ - ٧٢]. « **وعن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الآية**

فقيل له: أنتم أيضاً واردوها؟ فقال: « جزناها وهي خامدة «

وأما الأشقياء فلكونها مآبهم كما قال: { للطاغين مآباً } وكقوله:

{ وَّنَذَرُ ٱلظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً }[مريم، الآية:٧٢].

{ لابثين فيها أحقاباً } أزمنة متطاولة متتابعة إما غير متناهية إن كانت الاعتقادات باطلة فاسدة أو متناهية بحسب رسوخ الهيئات إن كانت الأعمال سيئة مع عدم الاعتقاد أو مع الاعتقاد الصحيح. { لايذوقون فيها برداً } روحاً وراحة من أثر اليقين { ولا شراباً } من ذوق المحبة ولذتها { إلا حميماً } من أثر الجهل المركب { وغساقاً } من ظلمة هيئات محبة الجواهر الفاسقة والميل إليها { جزاء } موافقاً لما ارتكبوه من الأعمال وقدموه من العقائد والأخلاق.

{ إنهم كانوا لا يرجون حساباً } أي: ذلك العذاب لأنهم كانوا موصوفين بهذا الرذائل من عدم توقع المكافآت والتكذيب بالآيات والصفات أي: لفساد العمل والعلم فلم يعملوا صالحاً رجاء الجزاء ولم يعلموا علماً فيصدقوا بالآيات.

{ وكل شيء } من صور أعمالهم وهيئات عقائدهم ضبطناه ضبطاً بالكتابة عليهم في صحائف نفوسهم وصحائف النفوس السماوية.

{ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً } أي: بسببها ذوقوا عذاباً يوازيها لا مزيد عليه فإنها بعينها معذبة لكم دون ما عداها. والمعنى: فذوقوا عذابها فإننا لن نزيدكم عليها شيئاً إلا التعذيب بها الذي ذهلتهم عنه.

{ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً } { حَدَآئِقَ وَأَعْنَاباً }

{ وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً } { وَكَأْساً دِهَاقاً }

{ لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّاباً }

{ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَاباً }

{ إنّ للمتقين } المقابلين للطاغين المتعدّين في أفعالهم حدّ العدالة مما عينه الشرع والعقل وهم المتزكون عن الرذائل وهيئات السوء من الأفعال { مفازاً } فوزاً ونجاة من النار التي هي مآب الطاغين { حدائق } من جنان الأخلاق { وأعناباً } من ثمرات الأفعال وهيئاتها { وكواعب } من صور آثار الأسماء في جنة الأفعال { أتراباً } متساوية في الرتب { وكأساً } من لذّة محبة الآثار مترعة ممزوجة بالزنجبيل والكافور لأن أهل جنة الآثار والأفعال لا مطمح لهم إلى ما وراءها فهم محجوبون بالآثار عن المؤثر وبالعطاء عن المعطي{ عطاء حساباً } كافياً يكفيهم بحسب هممهم ومطامح أبصارهم لأنهم لقصور استعدادتهم لا يشتاقون إلى ما وراء ذلك فلا شيء ألذّ لهم بحسب أذواقهم مما هم فيه.

{ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا }

{ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗا

لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا }

{ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا }

{ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ

وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا }

{ ربّ السموات والأرض وما بينهما الرحمن } أي: ربّهم المعطي إياهم ذلك العطاء هو الرحمن لأن عطاياهم من النعم الظاهرة الجليلة دون الباطنة الدقيقة، فمشربهم من اسم الرحمن دون غيره { لا يملكون منه خطاباً } لأنهم لم يصلوا إلى مقام الصفات فلا حظ لهم من المكالمة.

{ يوم يقوم الروح } الإنساني وملائكة القوى في مراتبهم صافين أي: مرتبة كل في مقامه كقوله:

{ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ } [الصافات، الآية:١٦٤]

{ لا يتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن } يسر له بأن هيأ له استعداد المكالمة في الأزل ووفقه لإخراج ذلك الاستعداد إلى الفعل بالتزكية

{ وقال صواباً } قولاً حقاً لا باطلاً { إنّا أنذرناكم عذاباً } هو عذاب الهيئات الفاسقة من الأعمال الفاسدة دون ما هو أبعد منه من عذاب القهر والسخط وهو ما قدّمت أيدهم، والله تعالى أعلم.